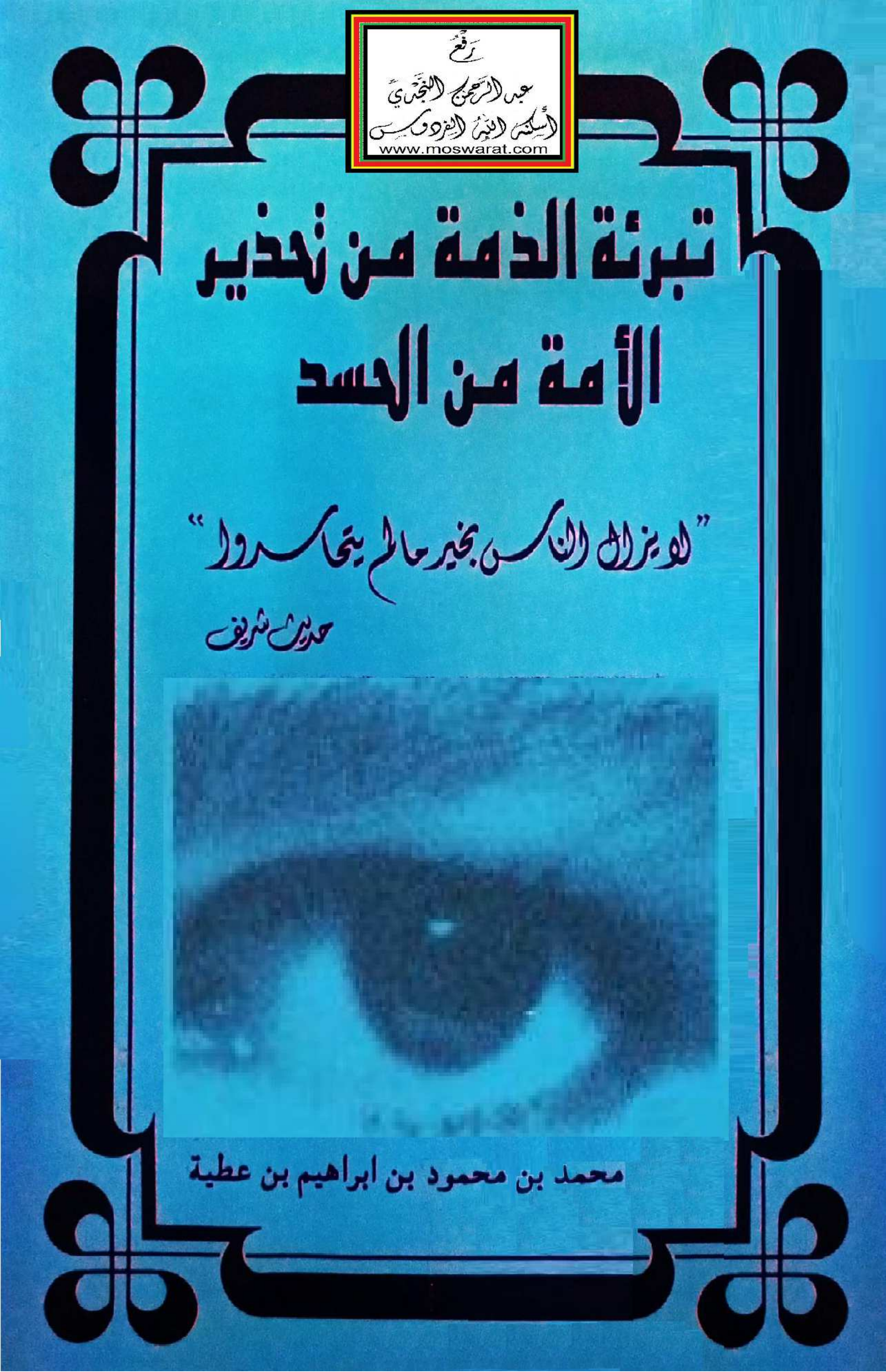

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تبرئة الذمة من تحذير
الأمة من الحسد
"لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا"
حديث شريف
محمد بن محمود بن ابراهيم بن عطية



تبرئة الذمة من تحذير الأمة من الحسد





تبرئة الذمة من تحذير الأمة من الحسد

لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا

حديث شريف

محمد بن محمود بن ابراهيم بن عطية

المركز العربي للكتاب
تليفون: ٥٢٦٥٢٠ الشارقة
فاكس: ٥٢٦٥١٩ ص.ب: ٢٠٢٦٠
الإمارات العربية المتحدة

الطبعة الاولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

اية قرانية

إهـداء..

إلى كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً

وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولاً.

وإلى كل طالب حق.

وإلى من يريد إصلاح قلبه من الأمراض المهلكة.

وإلى كل من يريد أن يحيا حياة سعيدة وينقلب منقلباً هنيئاً.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب

راجياً المولى جل في علاه أن ينفع به.

أبوعبد الرحمن

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،

فإن الاسلام قد اعتنى بالقلب أيما إعتناء، ووجه أهله إلى أن يصلحوا قلوبهم قبل أن يعملوا بجوارحهم: يتضح ذلك جلياً من قول النبي ﷺ «.... ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١).

ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، يطيعونه، وينبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت الجنود صالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده كذلك؛ ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال سبحانه «*يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى*

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير

الله بقلب سليم»(١). وهو السالم من الآفات والمكروهات كلها؛ وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله. وخشيته، وخشية ما يباعد منه. وفي مسند أحمد(٢)- رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي- ﷺ - قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه» والمراد بإستقامة إيمانه: إستقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا بإستقامة القلب، ومعنى إستقامة القلب: أن يكون ممتلئاً من محبة الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته. وفي صحيح مسلم(٣)- رحمه الله- عن أبي هريرة- رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم». ولذلك قال الحسن - رحمه الله - لرجل: داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم.

فنظرة الإسلام إلى القلب خطيرة، لأن القلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها، ويعكر صفوها، أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قليله وهو إليه بكل خير أسرع. فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما -: قيل يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قيل: صدوق اللسان نعرفه: فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي،

---

(١) سورة الشعراء ٨٨، ٨٩.

(٢) جـ٣ ص١٩٨ بسند جيد.

(٣) جـ ٨ ص١١.

لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد »(١)

ولقد نظرت في أدواء القلوب، فوجدت أن الحسد من أعظمها، بل هو سبب في كثير من أمراض القلب، التي تبعد القلب عن الخير، لأنه يشكل حجاباً كثيفاً يحجب صاحبه عن رؤية الحق ويصرفه إلى تمني زوال النعمة عن أصحاب النعم، وحسبك بذلك شراً ودناءة. ولذلك يقول النبي - ﷺ - «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا »(٢)

دفعني ذلك إلى البحث عن هذا الداء الخطير، ومراتبه، وحقيقته، وأسبابه، وطريقة علاجه والوقاية منه: سائلاً الله تعالى العون والتيسير، وأن ينفع بهذا البحث ويجعله خالصاً لوجه الكريم.

وسميته «تبرئة الذمة من تحذير الأمة: من الحسد».

وأعلم - رحمك الله - أن الحسد خلق ذميم، مع إضراره بالبدن، وإفساده للدين، حتى لقد أمر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى «ومن شر حاسد إذا حسد»(٣) وناهيك بحال ذلك شراً؛ وغالباً ما يتولد الحسد من الحقد، والحقد ناتج عن الغضب، وقد أحس الناس - من القديم- حتى في جاهليتهم - أن الحقد صنعة الطبقات الدنيا من البشر وأن ذوي المروءات يتنزهون عنه.

---

(١) ابن ماجة بسند صحيح، انظر صحيح الجامع جـ٣ ص١٢٤، والترغيب جـ٣ ص٥٥١.

(٢) قال في الترغيب جـ٣ ص٥٤٧: رواه الطبراني و رواته ثقات.

(١) سورة الفلق ٥.

قال عنترة:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وقال آخر:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً يرمى بصخر فيلقى خير أثمار

ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى: فهو من وجه غاية البخل، لأن الحاسد يبخل بمال الله، والبخيل يبخل بمال نفسه، ولذلك قيل: الحاسد بخيل بما لا يملكه؛ ومن وجه هو أظلم الظلم، لأن الحاسد يظلم غيره في إزالة حاله، ويظلم ربه فيما قدره؛ والحسد ضرب من الحماقة لأن اغتمام الحاسد بما يناله ذووه وأهل بلده يقتضي أنه ربما يغتم بما يناله أهل الصين والهند؛ على أن الخير الذي يناله ذووه وأقاربه هو أنفع له مما يناله الأباعد.

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق ذميم يتوجه نحو الأكفاء والأقارب والأصدقاء، لكان التنزه عنه محمدة، والاتصاف به منقصة، فكيف وهو بالنفس مضر، وعلى الهم مصر، حتى لربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا اضرار بمحسود. ولذلك قال معاوية- رضي الله عنه-: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

واعلم أنه بحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون

حسد الحاسدين له، فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قل قلوا، لأن ظهور الفضل يثير الحسد. وقد قال- ﷺ -:«استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»(١) ولذلك قيل إذا سرك أن تسلم من الحاسد فغم عليه أمرك. قال الشاعر:

حسدوا النعمة لما ظهرت ... فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة ... لم يضرها قول أعداء النعم

وقال آخر:

جامل عدوك ما استطعت فإنه ... بالرفق يُطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه ... إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك توددا ... منه أضر من العدو الحاقد
ولربما رضي العدو إذا رأى ... منك الجميل فصار غير معاند
ورضا الحسود زوال نعمتك التي ... أوتيتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ... ترمى حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكل نفسها ... حتى تعود إلى الرماد الهامد
تصفو على المحسود نعمة ربه ... ويذوب من كمد فؤاد الحاسد

وبعد إذ أوجزنا في بيان المقصود نشرع في تفصيله والله المستعان، لا رب غيره ولا نرجو إلا خيره، عليه توكلت وإليه

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، وقال في صحيح الجامع جـ١ص٣٢٠: صحيح.

أنيب، ولا حول ولا قوة إلا الله العلي العظيم.

صلى الله وسلم وبارك علي النبي محمد وآله.

سويحان في الثامن عشر من رجب الحرام١٤١١هـ

الموافق الثالث من فبراير ١٩٩١م.

وكتبه

راجى عفو ربه

أبو عبدالرحمن محمـــد عطية

تعريف الحسد
والفرق بينه وبين الغبطة والمنافسة

الحسد هو: تمني زوال نعمة الغير. وسواء في ذلك من تمنى زوالها وانتقالها إليه ومن تمنى زوالها وإن لم تصل إليه. وهو مذموم.

وأما الغبطة: فتمنى أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه. وهي محمودة.

وأما المنافسة فهي: السعي للوصول إلى ما وصل إليه غيره من الخير أو فوقه. وهي محمودة أيضاً.. والله تعالى يقول: «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون». فالمنافسة طلب تشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم. وهي داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بالأخيار.

مراتب الحسد وحكمه

للحسد ثلاث مراتب:

الأولى: ما يكون في قلب المرء ولا يظهره بل يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجهٍ لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، ولا يعاجل آخاه إلا بما يحب الله تعالى.. فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من

عـصم الله.. لأن النفس قـد جـبلت على حب الرفـعـة لا تحب أن يعلوها جنسها، فإذا علا عليها، شق عليها وكرهته، وأحبت زوال ذلك ليقع التساوي. وهذا أمر مركوز في الطباع. قال ابن رجب الحنبلي(١) - رحمه الله -: «وهذا على نوعين: أحدهما: أنه لا يمكنه إزالة ذلك الحسد عن نفسه ويكون مغلوباً على ذلك فلا يأثم به. والثاني: من يحدث نفسه بذلك إختياراً ويُعيده ويبدئه في نفسه مستروحا إلى تمني زوال نعمة أخيه فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية. وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء».

وقد روى عن الحسن - رحمه الله - عدم إثم صاحب هذه المرتبة وهو يُحمل على النوع الأول.. والله أعلم. وقد سئل رحمه الله: أيحسد المؤمن؟ فقال للسائل: ما أنساك اخوة يوسف!.

الثانية: تمني زوال نعمة الغير.. قال ابن رجب -رحمه الله- «والناس فيه أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل: ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه. ومنهم من يسعى في إزالة النعمة عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه وهو شرهما وأخبثهما... وهذا هو الحسد المذموم المنهى عنه وهو كان ذنب إبليس حيث كان حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق على الملائكة بأن الله خلقه بيده وأسجد له

---

(١) جامع العلوم ص٣٠٩.

ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه في جواره فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى اخرج منها ويروى عن ابن عمر أن ابليس قال لنوح: «إثنتان أهلك بهما بني آدم: الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، والحرص: ابيح آدم الجنة كلها فأصبت حاجتي بالحرص «خرجه ابن أبي الدنيا» ا.هـ.

قلت: وهذه المرتبة أجمع العلماء على أنها حرام مذمومة، وجعلها ابن حجر الهيثمي في زواجره من الكبائر.. وهي من الكبائر باعتبار ما قد تفضي إليه من الكبائر مثل الغيبة والنميمة، وقد توصل صاحبها إلى اكبر من ذلك مثل القتل كما فعل ابن آدم بأخيه. كما أن فيه من تسفيه الحق سبحانه وأنه أنعم على من لا يستحق. وقد أحسن الشاعر في قوله:

يا حاسداً لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

وهو الذي أخبر النبي - ﷺ - بأنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فعن أبي هريرة - رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ - «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال: «العشب».(١).

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب جـ٣ ص٥٤٧: رواه أبو داود والبيهقي، ورواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما من حديث أنس أن رسول الله قال: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب...» الحديث. والحديث سكت عنه الألباني في تخريج المشكاة.

وقد نهى عنه النبي - ﷺ - فقال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا.» الحديث متفق عليه(١) من حديث أبي هريرة.

الثالثة: حسد الغبطة: «وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه. فلا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة وقد قال الله تعالى «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»(٢) ا.هـ وقد روى الشيخان عن ابن عمر -رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ - «لا حسد إلا على اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار». فهذا حسد غبطة الحامل عليه كبر نفس صاحبه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سياقهم وعليتهم لا من فساقهم فتحدث له هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمنى دوام النعمة عليه»أ.هـ(٣) بتصرف بسيط.

---

(١) انظر مشكاة المصابيح جـ٣ص١٣٩٩ رقم ٥٠٢٨.

(٢) سورة المطففين

(٣) بدائع الفوائد جـ٤ص٢٣٧.

حقيقة الحسد

الحسد من الأمراض القلبية الخطيرة. وحقيقته شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل» فالحاسد عدو النعم. عدو البشر. ولذا قال معاوية - رضي الله عنه -: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل:

كل العداوة قد ترجى إماتتها   إلا عداوة من عاداك من حسد

والحاسد من أتباع إبليس - عياذاً بالله - لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال النعم عنهم. كما أن ابليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له حسداً. فالحاسد إذن - من جند ابليس، ولذلك تعينه الشياطين بلا إستدعاء منه..

متى يضر الحسد؟

ذهب بعض العلماء إلى أن الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته. وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وقد دل القرآن والسنة على أن نَفَس الحاسد يؤذي المحسود - فنفسِ حسده شر يتصل بالمحسود من نَفَسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا بلسانه فإن الله تعالى قال: «*ومن شر حاسد إذا حسد*» فحقق الشر منه عند صدور الحسد: والقرآن ليس فيه لفظة مهملة. ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسداً إلا إذا قام بالحسد، كالضارب

والشاتم والقاتل ونحو ذلك. ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاه عنه فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه وتوجهت سهام الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به ويكن له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله والإ ناله شر الحاسد ولا بد فقوله تعالى: «إذا حسد» بيان لان شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل؛ وفي حديث أبي سعيد الصحيح رقية جبريل النبي - ﷺ - وفيها «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك» فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد، ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها إذ لو نظر إليه نظر لاه ساه عنه كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئاً، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وانسَمّت واحتدت فصارت نفساً غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة، فأثرت في المحسود تأثيراً بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد فربما أعطبه وأهلكه بمنزلة من صوب سهماً نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلا وربما صرعه وأمرضه والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا اكثر من أن تذكر. «ا.هـ(١). بتصرف بسيط.

---

(١) بدائع الفوائد جـ٤ ص٢٢٨، ص٢٢٩. وفيها فوائد أخرى فليرجع إليها من شاء.

وهذا الذي قاله ابن القيم من أن نَفَس الحاسد وعينه تؤثران في المحسود قد روى عن قتادة ذكره الجصاص في أحكام القرآن. (١)

وقد وردت الرقية من العين في أحاديث كثيرة للنبي - ﷺ - نذكر هنا بعضها: فمن أنس - رضي الله عنه - قال: رخص رسول الله - ﷺ - في الرقية من العين والحمة والنملة «رواه مسلم. وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: أمر النبي - ﷺ - أن نسترقي من العين - متفق عليه. وعن ام سلمة أن النبي - ﷺ - رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة - يعني صفرة - فقال: «استرقوا لها؛ فإن بها النظرة «متفق عليه» والإصابة بعين الحاسد حق، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما عن النبي - ﷺ - قال: العين حق فلو كان شيء سابق، القدر لكانت العين، وإذا إستغسلتم فاغسلوا« رواه مسلم.

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبّأة(٢). قال فلبّط سهل، فأتى رسول الله - ﷺ - فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل بن حنيف؟ والله ما يرفع رأسه. قال: هل تتهمون أحداً فقالوا: انتهم عامر بن ربيعة. قال: فدعا

---

١)) جـ٣ ص٤٧٨.

(٢) مخبأة: الجارية في خدرها.

رسول الله - ﷺ - عامراً فتغلّظ عليه، وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكت(١)؟ إغتسل له» فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثمّ صب عليه فراح مع الناس ليس به بأس «رواه في شرح السنة ورواه مالك وفي روايته قال: «إن العين حق. توضأ له»(٢)

وعن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله! إن ولَدَ جعفر تسرع إليهم العين، أنا أسترقي لهم؟

قال: « نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة(٣).

مما سبق يتضح أثر عين الحاسد على المحسود؛ ولذا جاء الاستعاذة منها في سورة الفلق، والرقية منها في أحاديث النبي ؛ ولا مانع أن يكون أثر نفس الحاسد من جنس أثر نظرة العين. كما قال ابن القيم وكما ورد ذلك عن قتادة رحمهما الله. والله أعلم.

---

(١) أي هلا دعوت له بالبركة.

(٢) قال الألباني في تحقيق المشكاة جـ٢ ص١٢٨٦ وإسناده صحيح وفي نسخة: فتوضأ له، والحديث في الموطأ رقم ١٧٠٢ ص٥١٨، ٥١٩.

(٣) قال الألباني في تحقيق المشكاة جـ٢ ص١٢٨٥: إسناده صحيح. قلت والحديث بنحوه في الموطأ رقم ١٧٠٣ ص٥١٩.

الفرق بين الحاسد والعائن

العائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد: فكل عائن حاسد ولا عكس. وهما يشتركان في شيء ويفترقان في شيء: فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه. فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته. والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً. ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين. ا.هـ باختصار وتقديم وتأخير من بدائع الفوائد(١).

أسباب الحسد ودوافعه:-

ذكر الغزالي - رحمه الله - أسباب الحسد في «احياء علوم الدين»(٢) فعدها سبعة: «العداوة، والتعزز، والكبر، والتعجب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها». وخلاصة ما قاله في ذلك تفصيلاً:

---

(١) بدائع الفوائد جـ٤ صـ٢٣١.

(٢) إنظر الاحياء جـ٣ صـ١٦٧ ، ١٦٨ .

السبب الأول: العداوة والبغضاء: وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه، أبغضه قلبه، وغضب عليه ورسخ في قلبه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فمهما أصاب عدوه من البلاء فرح بذلك، وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى أن لا يبغى وأن يكره ذلك من نفسه، وهذا النوع من الحسد هو الذي وصف الله تعالى الكفار به فقال «*وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور. إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها*»(١) وكذلك قوله تعالى: «*ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر*»(٢).

والحسد بسبب العداوة والبغض ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجرى مجراه.

السبب الثاني: التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض أمثاله إذا أصابوا ولاية أو علماً أو مالاً: فيخاف أن يتكبر عليه من يصيب ذلك وهو لا يطيق هذا منه، وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبر ذاك عنه.

---

(١) آل عمران رقم: ١١٩ . ١٢٠.
(٢) آل عمران رقم: ١١٨

السبب الثالث: الكبر: وهو أن يخاف إذا نال - من كان دونه- نعمة أن يترفع عن الإنقياد له بعد أن كان ينقاد له قبلها، أو يخاف أن يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يترفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبرا عليه.

ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار لرسول الله - ﷺ - إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطىء رؤوسنا *«وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»*(١) أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيماً.

السبب الرابع: التعجب: كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ «قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا»(٢) *«وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا»*(٣) *«ولئن اطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون»*(٤) فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو أي سبب آخر، قال تعالى: *«أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم»*.

---

(١) سورة الزخرف.

(٢) سورة ياسين ١٥.

(٣) سورة المؤمنون ٤٧

(٤) سورة المؤمنون ٣٤.

قلت: ولا ينفي كلام الشيخ - رحمه الله - أن يكون مع سبب التعجب سبب آخر، كما في قوله تعالى: «وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب»(١).. فلزمهم مع الكبر والتعزز التعجب مِنْ كون النبي - ﷺ - منذر منهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد: وذلك يختص بمتزاحمين علي مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون له عوناً في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات. قلت ومنه قول أم رومان لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنهما- «في حديث الأفك»: «خفضي عليك الشأن فإنه والله لقلما كانت إمرأة جميلة تكون عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها وقلن فيها»(٢). ومن هذا الجنس أيضاً تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ.. وغير ذلك مما يشابهه.

السبب السادس: حب الرياسة وطلب الجاه: ومثاله أن الرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به، من أنه أوحد العصر، وفريد الدهر في فنه، إذا سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه

(١) سورة ص آية ٤.

(٢) رواه أحمد واللفظ له في حديث الأفك الطويل جـ٦ ص٥٩ ، ٦٠، ورواه البخاري أيضاً جـ٣ ص١٦٧ ، ١٦٨.

ذلك وأحب موته، أو زوال نعمته التي يشاركه بها في علم أو شجاعة أو عبادة أو صناعة أو ثروة أو غير ذلك، وليس ذلك إلا لمحض الرياسة بدعوى الانفراد. وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة النبي - ﷺ - ولا يؤمنون خوفاً من بطلان رئاستهم.

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله: فإنك تجد من الناس من لا يشتغل برئاسة ولا تكبر، وإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم عليه به شق عليه ذلك وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم، وتنغيص عيشهم فرح به، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته. فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة. وهذا غاية البخل وليس له سبب إلا خبث النفس ورداءة الطبع، ولذا فإن معالجته شديدة لأنه ليس له سبب عارض فيعمل على إزالته بل سببه الجبلة فيعسر إزالته.

فهذه أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو اكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوي قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة، واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها.

قلت: وقد يكون الحسد سببه غير العداوة والبغضاء. فإن لم يدفعه صاحبه عنه وسعى في إزالة النعمة عن المحسود جمع أسباباً أخرى إلى السبب الأصلي. وربما نشأ عن ذلك عداوة وبغضاء زادت فيه وخاصة إذا علم - كما سبق - أن الشيطان يعين الحاسد ويزين له حسده والانتصار لنفسه وتوسيع الشقة بينه وبين المحسود. ونسأل الله العافية.

سبب كثرة الحسد

ومرجع كثرة الحسد بين أقوام إلى سببين رئيسيين. الأول: قلة الوازع الديني: فإنك تجد المؤمن الذي رسخ الإيمان في قلبه. وإمتلأت نفسه بحقائق الإيمان لا يتمنى زوال نعمة عن أحد. وبالتالي لا يحسد أحداً على ما أنعم الله عليه. وإنما قد يتمنى مثلها لا عينها فالله تعالى يقول: «*ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض*»(١) إنما يتمنى مثلها والله يقول «*وأسألوا الله من فضله*»(١)

كما أن المؤمن يعلم يقينا أن الله قسم بين عباده معيشتهم.. يقول سبحانه «*نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون*»(٢). فكيف يحسد إنساناً على دنيا. إنه يوقن أن حسده لا يغير في تقدير الله من شيء ولذلك يقول محمد بن سيرين -رحمه الله- : «ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار. وورد عن الفضيل بن عياض - رحمه الله - أنه قال: المؤمن يغبط والمنافق يحسد.

---

(١) سورة:النساء.٣٢.

(٢) سورة الزخرف ٣٢.

فغاية أمر المؤمن في النظر إلى نعمة الغير أن يغبطه فيتمنى مثل نعمته ولا يحب زوالها عنه. عن أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالافيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله. فهما في الأجر سواء. ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء(١) فهذا أمر المؤمن يقول: «لو أن لي مثل مال فلان» وعلى حسب علمه ينفق ذلك المال وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

فإذا ما حدثته نفسه بشيء من أمر الحسد، أو حاول الشيطان أن يوسوس إليه بذلك، فإنه يدفع ذلك عن نفسه بما يستطيع من استعاذة ودعاء لصاحب النعمة. وغير ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، ولكنه لا يظهر ذلك ولا يسعى في زوال نعمة غيره، وهذا أمر قد لا ينفك عنه أحد، والله وحده المستعان. وعن الحسن البصري قال: «ما من آدمي إلا وفيه الحسد

---

(١) الحديث ذكره في الاحياء، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن ماجة والترمذي وقال: حسن صحيح. هامش الاحياء جـ٣ ص١٦٦.

فمن لم يجاوز الى البغي والظلم لم يتبعه شيء».

فالمؤمن لا يصح إيمانه حتى يؤمن بالقضاء والقدر، ولا يتسخط على مولاه سبحانه ولا يتهمه في حكمه.. ولذلك ورد عن نبي الله زكريا عليه السلام- : «قال الله تعالى: الحاسد عدو نعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي»..

فالمؤمن يجد وازعاً من نفسه ينهاه عن الحسد فينصرف عنه، ومن قل إيمانه قل وازعه ولا شك. وهكذا لا تجد هذا الأمر إلا عند قليلي الدين، قليلي الخوف من الجليل سبحانه.

والسبب الثاني: حب الدنيا. وحب الدنيا سبب كل خطيئة، ففي الصحيح من رسول الله - ﷺ - أنه قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»(١) وأخرج مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «فإذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم»؟ قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله -ﷺ -: أو غير ذلك! تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون. أو نحو

---

(١) رواه مسلم حـ ٨ صـ ٨٩ عن أبي سعيد.

ذلك ثم تنطلقون إلى مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»(١)

فانظر يرحمك الله -كيف رتب رسول الله - ﷺ - ما يفعله حب الدنيا في النفوس؛ فأولاً التنافس. والتنافس في الدنيا يفضي الى التحاسد والتحاسد يُفضي الى التدابر والتدابر يفضي إلى التباغض.. فحب الدنيا سبب لكل ما يحدث بين العباد من شحناء وبغضاء وتدابر وتحاسد.

وقد وردت أحاديث كثيرة جداً في التحذير من أمر الدنيا. والترغيب في الإقبال على الآخرة ليس هذا موضع بسطها.. وفيما ذكرنا كفاية. والله سبحانه المستعان وعليه التكلان.

وهاهنا كلام طيب لابن قدامة -رحمه الله - في كتابه «مختصر منهاج القاصدين»(٢) نورده تتميماً للفائدة. قال: «واعلم: إنما يكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم الأسباب(٣) التي ذكرناها، ويقع ذلك غالباً بين الأقران، والأمثال، والاخوة، وبني العم، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل فيها فيثور التنافر والتباغض؛ ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد

---

(١) رواه مسلم

(٢) ص١٨٨، ومختصر منهاج القاصدين «اختصره ابن قدامة من كتاب «منهاج القاصدين» لابن الجوزي. الذي هو بدوره اختصره من إحياء علوم الدين» وانظر الاحياء جـ٣ ص١٦٩، ص١٧٠.

(٣) الأسباب السبعة السالفة الذكر.

التاجر، والاسكاف يحسد الاسكاف، ولا يحسد البزاز إلا أن يكون سبب آخر، لأن مقصد كل واحد من هؤلاء غير مقصد الآخر.

فأصل العداوة: التزاحم على غرض واحد، والفرض الواحد لا يجمع متباعدين، إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين ولا يكون بينهما محاسدة إلا من اشتد حرصه على الجاه، فإنه يحسد كل من في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يفاخر بها.

ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين، وأما الآخرة فلا ضيق فيها، فإن من أحب معرفة الله وملائكته وأنبياءه وملكوت أرضه وسمائه، لم يحسد غيره إذا عرف ذلك، لأن المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعرف ألف ألف عالم، ويفرح بمعرفته غيره، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة، لأن مقصودهم معرفة الله سبحانه، وهو بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله، ولا ضيق فيما عند الله، لأن أجّل ما عند الله من النعيم لذة لقائه. وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض، بل يزيد الأنس بكثرتهم.

إلا أنه إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا. ا.هـ
ولذلك.. ما وجدنا عالماً يحسد عالماً إلا على الشهرة والجاه. وما وجدناه يحسده على كثرة علم أو على عمل بالعلم.

أثر الحسد على الفرد والمجتمع:

للحسد آثار ضارة على الفرد والمجتمع، فأما على الفرد فقد تقدم إليك أن الحاسد يؤذي المحسود، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه فيتأذى المحسود، بهذا الشر المنبعث. كما يتأذى الذي تصيبه عين العائن، وقد يسعى لإيذائه بالقول والعمل.

بيد أن الحاسد لا يسلم -أيضاً- من الآثار الضارة للحسد فإن صدته الشهوة عن مراشده وأضله الحرمان عن مقاصده، فانقاد للطبع اللئيم وغلب عليه الخلق الذميم حتى ظهر حسده واشتد كمده فقد باء بعدة مذام:

الأولى: تعرضه لغضب الجبار سبحانه لأنه لم ينته عما نهى عنه رسول الله - ﷺ - في قوله «... ولا تحاسدوا..»، وكذا لأنه متسخط لقضاء الله غير راض بقسمته لعباده. إذ ليس يرى قضاء الله عدلا ولا لنعمه من الناس أهلاً. وقال عبدالله بن المعتز. الحاسد مغتاظ على من لاذ نب له، بخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده.

الثانية: يحبط الحسد كثيراً من أعمال الحاسد لأنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

كما في حديث أنس المتقدم.

الثالثة: الحاسد يعيش بين حسرات الحسد وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء ولا يؤمل لسقامه شفاء، وقال ابن المعتز: الحسد داء الجسد. وقال الحسن: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد: نفسٌ دائم وحزن لازم وعبرة لا تنفد؛ وقال بعض الشعراء:

إن الحسود الظلوم في كرب يخاله من يراه مظلوما

ذا نفسٍ دائم على نفس يظهر منها ما كان مكتوما

الرابعة: إنخفاض المنزلة وانحطاط الرتبة. لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود. فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدا إلا قهراً يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

الخامسة: مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محباً، وعداوتهم له حتى لا يرى منهم ولياً، فيصير بالعداوة مأثورا، وبالمقت مزجورا. ولذا قيل: أسد تقاربه خير من حسود تراقبه.

وقال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفس الرضا   إلا الحسود فإنه أعياني

ما إن لي ذنباً إليه علمته   إلا تظاهر نعمة الرحمن

وأبى فما يرضيه إلا ذلتي   وذهاب أموالي وقطع لساني

وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعناً وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغما ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولا، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا.

أثر الحسد على المجتمع

إن الحسد هو داء الأمم الذي يهلكهم ويقضي عليهم. وهو الذي يترتب عليه الشحناء والتدابر والبغضاء وهذه الأمور هي التي تودي بحياة الأمم، فعن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله - - قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما اني لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».(١) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «سيصيب أمتي داء الأمم:

---

(١) قال في الترغيب والترهيب جـ٣ ص٥٤٨ رواه البزار بإسناد جيد، وقال الألباني في ضعيف الجامع رواه أحمد والترمذي وهو ضعيف.

الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي»(١). وقد مر بك حديث عبدالله بن عمرو الذي خرجه مسلم.

والحاصل: ان الحسد داء يحذر غوائله على المجتمع، فالحسود عامل هدم في المجتمع وأداة إفساد وتخريب، ولو بحثت عما يحدث بين الأقارب أو بين العاملين في ديوان واحد، أو إدارة واحدة أو بين الجيران وأمثالهم من الهجر والخصام، ومن النزاع والشقاق، ومن الغيبة والنميمة ومن الشماتة عند المصيبة والفرحة عند نزول البلاء لوجدت. السبب الرئيس الذي يكمن وراء ذلك كله هو الحسد.

ولذلك قال رسول الله - ﷺ : «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»(٢)

وقد كانت أول خطيئة هي الحسد، حسد ابليس آدم -عليه السلام على ما أعطاه الله من الفضل والرتبة فأبى أن يسجد له

---

(١) قال في صحيح الجامع جـ٣ص٢١٤ حسن رواه الحاكم. وقال العراقي في تحقيق أحاديث الاحياء: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد، والطبراني في الأوسط بسند جيد. هامش الاحياء جـ٣ص١٦٣.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني ورواته ثقات ترغيب جـ٣ص٥٤٧ والحديث عن حمزة بن ثعلبة.

فحمله الحسد على المعصية، وهذا النوع من الحسد هو بسبب الكبر - كما تقدم - ولذلك قال الله تعالى: «*وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبروا كان من الكافرين*»(١)

وكانت أول معصية في الأرض بسبب الحسد، لما حسد ابن آدم أخاه على ما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل، فكان أن بغى على أخيه بسبب الحسد فقتله، وقصة ذلك كما ذكرها غير واحد من السلف، «أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، وكان يولد لآدم في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج أنثى البطن الأول لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دميمة، وأخت قابيل جميلة، فأراد أن يستأثر بها على قابيل فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه، فقال تعالى: «*واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال: لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين*»(٢)

وأخوة يوسف - عليه السلام - دفعهم الحسد له من إيثار أبيه له ولأخيه- وأصغر الأبناء هم أحب الأبناء إلى أبيهم -كما هو معلوم - فدفعهم حسدهم إلى أن «اجتمعوا على أمر عظيم

---

(١) سورة البقرة ٣٤

(٢) سورة المائدة ٢٧

من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله، في حق الوالد على ولده. ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه -مع مكانه من الله- فيمن أحبه طفلاً صغيراً وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته الى لطف والده وسكونه إليه: يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمراً عظيماً»(١)ا.هـ فكان منهم ما سجله الله تعالى في كتابه فقال سبحانه «لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين. *إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخلو لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين*»(٢)

فانظر - رحمك الله - كيف دفعهم الحسد إلى التآمر على قتل أخيهم، أو طرحه في أرض نائية مقطوعة، وذلك مفض إلى الموت ولا ريب. ثم اتفاقهم على أن يلقوه في الجب.

إن الحسد نار تتقد في قلب صاحبها، ويساعد الشيطان بوساوسه على إشتعالها، فإن استطاع الحاسد أن يسعى في إيذاء

---

(١) قاله محمد بن اسحاق بن يسار وانظر تفسير ابن كثير حـ٢ صـ٤٥١.

(٢) سورة يوسف آيات: ٧ : ١٠

المحسود فعل، فيكيد ويحتال ويتآمر لإيذائه.

واليهود منعهم حسدهم لرسول الله - ﷺ - أن يؤمنوا به وهم يعلمون أنه رسول الله. يقول الله تعالى: «*ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.*»(١) فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب، من أشد اليهود للعرب حسدا إذ خصهم الله برسوله - ﷺ - وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما إستطاعا، فأنزل الله فيهما. «*ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا*» «الآية».. فالحسد هو الإنفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها وما تزال.. وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه: ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم، وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه والذي أنقذهم الله منه بالإيمان وخصهم بأعظم الفضل وأجل النعم التي تحسدهم عليها يهود»(٢)ا.هـ.

وقال الله تعالى في حقهم أيضاً: «*أم يحسدون الناس على*

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

(٢) ظلال القرآن حـ١ صـ١٠٢.

ما آتاهم الله من فضله» فهم حسدوا النبي - ﷺ - على النبوة وحسدوا أصحابه على الإيمان.

وهكذا فعل كفار مكة، حسدوا رسول الله على نعمة النبوة وكفروا به.. قال تعالى «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»(١).

أرأيت: أخي الكريم: كيف إن الحسد صدهم عن السبيل فعادوا الحق وهم يعلمون أنه الحق وفضلوا الكفر على الإيمان.. هكذا يصنع الحسد بأهله..

وبعد: فما ذكرناه من القصص الحق. إنما هو أمثلة تبين لك الآثار الضارة لهذا المرض القلبي الخطير.. وما يسببه من شرور على الحاسد والمحسود والمجتمع.. وفي واقع الحياة كثير وكثير.. ونسأل الله تعالى العافية.. ولذا يقول الجاحظ: «الحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق. منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم من الأقرباء، ومحدث التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الحلفاء»ا.هـ.

---

(١) سورة الزخرف:

داوء الـداء:

لقد شخصنا الداء وعرفناه وبينا آثاره. فما هو الدواء الفعال، لهذا الداء العضال؟.. وللإجابة على هذا أقول: لا يعرف أدوية القلوب إلا طبيب حاذق مجرب، على علم بأحوالها.. ولقد قرأت لأبي حامد الغزالي وأبي الحسن الماوردي - رحمهما الله - وَصَفات عجيبة لهذا الدواء. رأيت أن أجمع بينها في وصفة واحدة، لتكون أنجع في العلاج، ومعلوم عند الأطباء أن الدواء المركب يفيد في الداء المعقد. وخلاصة ذلك ما يلي:

إعلم - رحمك الله - أن الحسد من أمراض القلوب العظيمة، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل؛ والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما. فإذا عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة.

أما كونه ضرر عليك في الدين فهو: انك بالحسد سخطت قضاء ربك وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفى حكمته فاستنكرت ذلك. وهذا جناية في الدين مطعن في التوحيد. وقد أضفت إلى ذلك غشك رجلا من المؤمنين وتركك نصيحته، ومشاركتك إبليس وسائر الكفار في

محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم، وهذه خبائث في القلب تأكل حسناته كما تأكل النار الحطب وأما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو: أنك تتألم بحسدك في الدنيا، ولا تزال في كمد إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك، بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجله الذي قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه.

فإن كنت عاقلا - ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب- لكان مقتضى الفطنة أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع فكيف وأنت تعلم ما فيه من العذاب الشديد في الآخرة؟ ويترتب على ذلك أن تساعد القضاء وتستسلم للمقدور، ولا تغالب قضاء الله فترجع مغلوباً، ولا تعارض في أمره سبحانه فترد محروماً مسلوباً.

ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه، بل ينتفع بحسدك في الدين والدنيا فواضح لأن النعمة لا تزول بحسدك بل تدوم إلى أجلها الذي قدره الله تعالى. ثم هو لا يأثم بذلك. فلا يقع عليه ضررٌ في الدنيا ولا في الدين.

وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة أعدائهم وغمهم، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد.. ففرح عدوك بغمك أعظم من فرحه بنعمته؛ وربما كان الحسد منبهاً على فضل المحسود ونقص الحسود كما قال أبو تمام الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يُعرف طيب عَرْف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل ... للحاسد النعمى على المحسود

وأما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك، لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه، فهذه هدايا تهديها إليه، لأنك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً مِنَ النعمة، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة على شقاوة.

فهذه هي الأدوية العلمية، فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف، وقلب حاضر، انطفأت نار الحسد من قلبه، وعلم أنه مهلك نفسه، ومفرح عدوه، ومسخط ربه، ومنغص عيشه، فيجعله ذلك أن يسارع إلى الابتعاد عن هذه المهلكات المنغصات بترك الحسد ولا بد. والله المستعان.

وأما العمل النافع فيه: فهو أن يحكم الحسد، فكل ما يأمر به الحسد من قول أو فعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه؛ فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده، كلف لسانه المدح له والثناء عليه؛ وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام. فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، فإذا ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه، فتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد؛ وإن كان نقل الطباع عسراً، لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب ويُحبَّب منها ما أتعب، ومن يعاني تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق؛ ثم بالعادة يصير التخلق خلقاً والتكلف طبعاً قال أبو تمام:

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقاً ولم أجد الإفضال إلا تفضلا

ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له، لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وفي ذلك مذلة ومهانة، فإن ذلك من خدع الشيطان ومكايده، بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين، وتقل مرغوبها وتعوّد القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم التحاسد وغم التباغض. فتأمل ذلك جيداً، وأضف إليه

أن الحاسد يرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه، ما يجعله يخافهم إما على نفسه من عداوة، أو على عرضه من ملامة، فعليه أن يتألفهم بمعالجة نفسه، فهم إن صلحوا أجدى نفعاً وأخلص وداً.

فهذه هي أدوية الحسد، وهي نافعة جداً، إلا أنها مرة على القلوب جداً، ولكن النفع في الدواء المر. فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء.. وعليه أن يتتبع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وغيرها، ويعالج ذلك من نفسه، ليسلم مما قد يوقعه فيه من الحسد والآثام.

فإن أظفرته السعادة بهذه الأسباب وهدته المراشد إلى إستعمال الصواب سلم من سقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنقص فضلا، واعتاض من الذم حمداً، ولمن استنزل نفسه عن مذمة، وصرفها عن لائمة هو أظهر حزماً وأقوى عزماً - والله المستعان.

فمن تأمل ذلك وعلم أن سلامة الصدر تجاه المسلم طريق إلى الجنة، سارع لعلاج نفسه، واستكرهها على ترك ما يجلب عليها تنغيص حياتها، ويقودها إلى منازل هلاكها. وهو الحسد.

وأما قولنا أن سلامة الصدر طريق الى الجنة فلما رواه

احمد(١) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال كنا جلوساً مع رسول الله - ﷺ - فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علّق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي - ﷺ - مثل ذلك: فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث، قال النبي - ﷺ - مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي - ﷺ - تبعه عبدالله بن عمرو فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم، قال أنس: فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى صلاة الفجر. قال عبدالله، غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا. فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله! لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن

(١) قال المنذري في الترغيب ج٣ص٥٤٩: رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم، والنسائي ورواته احتجابهم أيضاً إلا شيخه سويد بن نصر وهو ثقة، وأبو يعلى والبزار بنحوه وسمى الرجل سعداً.

آوى إليك فأنظر ما عملك، فأقتدى بك: فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله - ﷺ -! قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفس لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد احداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك». إنها سلامة الصدر من الغش للمسلمين والحسد لهم على نعم الله إياهم. وهي التي لا يقدر عليها كثير من الناس.. ولكن الأمر كما قال النبي - ﷺ - «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(١) فمن أرادها، تعب في معالجة نفسه وقلبه ولا بد..

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة، وقال في صحيح الجامع جـ٥ص٢٨٦. صحيح رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة؛ وغيرهما.

فائدة جليلة

هذه الفائدة أوردها الإمام أبو حامد الغزالي تحت عنوان «بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب»(١) رأيت أن أختصرها لك في هذا المقام لتتم الفائدة. والله المستعان: قال رحمه الله: «اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً، فإن تيسرت له نعمة، فلا يمكنك أن لا تكرهها حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله؛

ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له، فإن قوى ذلك فيك حتى أظهرت الحسد بقول أو فعل، فأنت حسود عاص بحسدك، وإن كففت ظاهرك بالكلية، إلا أنك تحب بباطنك زوال النعمة، وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة، فأنت أيضاً حسود عاص، لأن الحسد صفة القلب، لاصفة الفعل، قال الله عز وجل «ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء»(٢) وقال «إن تمسسكم حسنة تسؤهم»(٣). أما الفعل فهو غيبة أو كذب، وهو عمل صادر عن الحسد، وليس هو عين الحسد.

---

(١) إحياء علوم الدين حـ٣صـ١٧٣ , ١٧٤ .

(٢) سورة النساء: ٨٩.

(٣) سورة ال عمران: ١٢٣٠.

نعم هذا الحسد - يعني الذي في القلب فقط- ليس مظلمة يجب الاستحلال منها، بل هو معصية بينك وبين الله تعالى: وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح.

فأما إذا كففت ظاهرك والزمت - مع ذلك - قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أديت الواجب عليك، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا. لأن تلك الكراهة تمنعك من البغي والإيذاء.

وجميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم؛ ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال، فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد. فإذاً: كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل في محل الاجتهاد؛ والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الايات والأخبار ومن حيث المعنى، إذ يبعد أن يُعفى عن العبد في إرادته إساءة مسلم، واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة. وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال:

أحدها: أن تحب مساءتهم بطبعك، وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك، وتمقت نفسك عليه، وتود لو كانت لك حيلة في

إزالة ذلك، وهذا معفو عنه قطعاً. لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه.

الثاني: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته، إما بلسانك، أو بجوارحك، فهذا هو الحسد المحظور قطعاً.

الثالث: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك، ومن غير إنكار منك على قلبك، ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه. وهذا في محل الخلاف. والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم. ا.هـ.

ما يندفع به شر الحسد

وبعد: فقد يقول قائل: أراك قد كشفت لنا عن الداء، ووصفت لنا الدواء: ولكن أهل الحكمة يقولون: «الوقاية خير من العلاج» فهل من وقاية يستعملها أصحاب النعم ليسلموا من نَفَس الحاسدين وأعينهم. ومحاولاتهم للسعي في زوال هذه النعم عنهم؟!

وأقول: نعم! ويكون ذلك بالتعوذ بالله من شرهم واللجوء إليه سبحانه والتحصن به.. فليس هناك أنفع من التوجه إلى الله والإقبال عليه والثقة به والتوكل عليه.

وأفضل ما يتعوذ به: سورتا «الفلق» و«الناس». فعن ابن عابس الجهني قال: قال لي رسول الله - ﷺ -«يابن عابس! ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذن: «قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» هاتين السورتين»(١)، وقال - ﷺ - لعقبة بن عامر -رضي الله عنه: «يا عقبة! ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟ «قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» اقرأ بهما كلما نمت وقمت، ما سأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما» رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب(٣).

فالله سبحانه جعل في «المعوذتين» دفعاً لجميع الشرور الظاهرة والباطنة، ومن هذه الشرور الحسد.. قال تعالى في سورة الفلق «ومن شر حاسد إذا حسد»: قال ابن القيم(٤) - رحمه الله

(١) صحيح رواه النسائي وانظر صحيح الجامع حـ٦ صـ٢٦٣.
(٢) حديث حسن رواه أحمد والنسائي والحاكم. صحيح الجامع: حـ٦ صـ٢٩٨.
(٣) ورواه ابن ماجة ايضاً. قال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة حـ٢ صـ١٢٨٦ قلت: وإسناده صحيح.
(٤) بدائع الفوائد حـ٤ صـ٢٣٥.

-: «وقوله تعالى» «ومن شر حاسد إذا حسد» يعم الحاسد من الجن والانس، فإن الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، كما حسد ابليس أبانا آدم وهو عدو لذريته كما قال تعالى: «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً» ولكن الوسواس أخص بشياطين الجن والحسد أخص بشياطين الإنس. والوسواس يعمهما، والحسد يعمهما أيضاً: فكلا الشيطانين حاسد موسوس، فالاستعاذة من شر الحاسد تتناولهما جميعا».ا.هـ وقال(١) في موضع آخر: «فهذه السورة -يعني سورة الفلق- من أكبر أدوية الحسد، فإنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، فهو مستعيذ بولي النعم ومواليها، كأنه يقول: يا من أولاني نعمته، وأسداها إليّ، أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني.

وهو سبحانه حسيُب من توكل عليه، وكافى من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه، واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه: ولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما

---

(١) بدائع الفوائد حـ٤ صـ٢٣٧.

يخاف ويحذر، وجلب إليه من المنافع. «*ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه*»(١) فلا تستبطىء نصره ورزقه وعافيته «*إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً*» لا يتقدم عنه ولا يتأخر»(٢) ا.هـ.

فإن أضاف المستعيذ إلى «المعوذتين» سورة «الإخلاص»، فقد زاد في الفضل والتعوذ، وكأنه يتوسل بتوحيد الله وأسمائه وصفاته الى الله ليعيذه من كل ذي شر- وتلك كانت وصية رسول الله - ﷺ - لعقبة: «يا عقبة!» قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» ما تعوذ بمثلهن أحد»(٣). وفي السنن عن عبدالله بن حبيب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: «قل»! قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد» والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»(٤) قال الترمذي: حسن صحيح.

فتلكم الثلاث السور أفضل ما يتعوذ به، وفيهم التعوذ من كل ذي شر.

(١، ٢) سورة الطلاق (٢، ٣).

(٣) صحيح رواه النسائي. صحيح الجامع حـ٦ صـ٢٩٨.

(٤) ذكره في الوابل الصيب، وانظر صحيح الجامع حـ٤ صـ١٤١.

وورد في الصحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء»(١) وفي رواية أبي داود(٢): «لم تصبه فجاءة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجاءة بلاء حتى يمسي».

وروى مسلم(٣) في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال: أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك».

والشاهد: أن الاستعاذة في الحديث من كل شر للمخلوقات، فبما أنها تمنع شر لدغة العقرب - فهي- بإذن الله - تمنع شر كل ذي شر.

فليحافظ من أراد الوقاية من شر الحاسدين على هذه التعويذات والتحصينات، وليعلم أنه مهما صدق في اللجوء إلى

---

(١) الوابل الصيب وقال الترمذي: حسن صحيح وهو عند الترمذي رقم ٣٣٨٥. وانظر مشكاة المصابيح حـ٢ صـ٧٣٩.

(٢) قال الألباني في هامش المشكاة: بإسناد صحيح.

(٣) حـ ٨ ص ـ٧٦.

الله وجد الخير المرجو، فهو - سبحانه - القائل «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير»(١).

وهناك أسباب أخرى ينذفع بها شر الحسد ذكرها ابن القيم -رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد» وأنا اختصرها لك هنا - بعون الله - وقد جعل أول هذه الأسباب التعوذ والتحصن بالله واللجؤ إليه.. وقد فصلنا ذلك فيما سبق..

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله، تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره قال تعالى: «وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً»(٢) وقال النبي - ﷺ - لعبد الله بن عباس «احفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك» فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه، فممن يخاف وممن يحذر؟.

السبب الثالث: الصبر على عدوه، فلا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله، يقول الشاعر.

---

(١) سورة الأنعام: ١٧ . ١٨.

(١) سورة آل عمران.

اصبــر على كيد الحســود فإن صبرك قــاتلــه
فالنــار تأكــل بعضهــا إن لــم تجـد مـا تأكلـه

وقد قال الله تعالى: «*ومن عاقب بمثل ما عوقب به لينصرنه الله*»(١) فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً، فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه، بل بُغي عليه وهو صابر: وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة الله أنه لو بغي جبل على جبل جعل الباغي منهما دكا. ولقد صدق الشاعر في قوله:

فاصبر على غيظ الحسـود فنـاره ترمى حشـاه بالعـذاب الخـالـد
أو ما رأيت النـار تأكـل نفسهـا حتى تعـود إلى الرمـاد الهامـد

السبب الرابع: التوكل على الله: «*ومن يتوكل على الله فهو حسبه*»(٢). والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم. فمن كان متوكلاً على الله فإن الله حسبه: أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً. وقال

---

(١) سورة الحج: ٦٠.
(٢) سورة الطلاق: ٣.

بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه، نفس كفايته لعبده فقال «*ومن يتوكل على الله فهو حسبه*» ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال.

فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجا من ذلك وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه: وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر.

ولا يصدق بهذا إلا أصحاب النفوس المطمئنة التي رضيت بوكالة الله تعالى لها، وعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها.
ولا يقوى على هذا إلا بالسبب السادس.

السبب السادس: الإقبال على الله والإخلاص له وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها، تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرها ويذهبها

بالكلية، فتبقى خواطره وأمانيه كلها في محاب الله والتقرب إليه، فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل قلبه معموراً بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلى الإنتقام منه والتدبير عليه هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله وإجلاله وطلب مرضاته.

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءهُ، فإن الله تعالى يقول: «*وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم*»(١).فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لايعلمه: ومالا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره. فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف ما يذكره. فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب. ولقى بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك. فدخل فسجد لله وتضرع إليه. وتاب وأناب إلى ربه ثم خرج إليه: فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به علي. فليس للعبد إذا بُغى عليه وأذى وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح. وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وبإصلاحها

---

(١) سورة الشورى:

وبالتوبة منـــها، فلا يبــقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتــولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه: فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى. فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العاقبة الحميدة. فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية وحصن حصين. لأن الشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود؛ فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعم. سبحانه.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له الا من عظم حظه من الله، وهو طفي نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى

وشراً وبغياً وحسداً، ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة.

وما أظنك تصدق بأن هذا يكون، فضلا أن تتعاطاه، فاسمع الآن إلى قوله عز وجل: «*ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، إدفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم*»(١) وقال سبحانه «*أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون*»(٢)

واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها، وينعمها به: اعلم أن لك ذنوباً بينك وبين الله، تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك. ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك، ويكرمك، ويجلب عليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله: فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل. فانتقم بعد ذلك أو اعف، واحسن أو اترك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك، فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان، إلى من أساء إليه؛ هذا

---

(١) سورة فصلت ٣٤، ٣٥

(٢) سورة القصص ٥٤

مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة. كما قال - للذي شكا إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم ويسيئون إليه فقال: «لا يزال معك من الله ظهيرا ما دمت على ذلك». هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون معه على خصمه، فإن كل من سمع أنه محسن إلى الغير وهو مسئ إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء. وذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده.

هذا مع أنه لا بد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه فينقاد له ويبقى من أحب الناس إليه، وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه. فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة؛ والله هو الموفق المعين بيده الخير كله وهو المسئول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب. وهو: تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم. والعلم بأن هذه آلات لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذي يمس عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه. قال تعالى: *«وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا*

هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله، يصيب به من يشاء من عباده»(١)، وقال النبي - ﷺ - لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»(٢) فإذا جرد العبد التوحيد، فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة. ويتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً وإشتغالا به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه وإشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه، والدفع عنه فـ «*إن الله يدافع عن الذين آمنوا*»(٣)فإن كان مؤمنا فالله يدافع عنه ولا بد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مَزَجَ مُزج له، وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين؛ قال بعض السلف: من خاف الله، خافه كل شيء، ومن لم يخف

---

(١)سورة يونس ١٠٧

(٢) رواه الترمذي وأحمد واللفظ للترمذي.

(٣) سورة الحج ٣٨

الله أخافه من كل شيء.ا.هـ مختصراً ومصرفاً تصريفا بسيطاً(١).

فهذه هي الأسباب التي يندفع بها شر الحسد، بل يندفع بها كل شر لمن تدبرها وفهمها والله سبحانه المستعان وعليه التكلان، لا رب غيره ولا نرجو إلا خيره عليه توكلت وإليه أنيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(١) وانظر بدائع الفوائد من ص ٢٣٨ إلى ص ٢٤٦ حـ٤.

خـــاتمـــة

هذا ما يسره الله الكريم في كشف هذا الداء ودوائه والوقاية منه وما يندفع به. فما كان فيه من خير وصواب فمن الله وحده -وله الحمد والمنة-، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى منه.

لكن قدرة مثلى غير خافية   والنمل يعذر في القدر الذي حملا

وأرجو ممن علم فيه خطأ أن يدلنا على الصواب فيه أو غلطا أن يرشدنا إلى الصحيح فيه، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه والدال عليه، وأن يجعله في ميزاننا «*يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم*».

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ منه قبل مغيب شمس يوم الأحد الثامن عشر من رجب الحرام ١٤١١هـ الموافق الثالث من فبراير ١٩٩١م

وكتبه

راجى عفو ربه

محمد بن محمود ابراهيم عطية

المصـــادر والمراجـــع

الكتاب	المؤلف	الناشر
الجامع لأحكام القرآن	للقرطبي	دار أحياء التراث العربي بيروت
تفسير القرآن العظيم	لابن كثير	دار الجيل بيروت
أحكام القرآن	للجصاص	دار الكتاب العربي بيروت
في ظلال القرآن	لسيد قطب	دار الشروق بيروت
فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن	للصواب	دار المنارة جدة
موطأ الإمام مالك	للامام مالك بن انس	دار الكتب العلمية بيروت
مسند الإمام أحمد	للامام احمد بن حنبل	المكتب الإسلامي بيروت
صحيح البخاري	للامام البخاري	دار المعرفة بيروت
الجامع الصحيح	للامام مسلم	دار المعرفة بيروت
مختصر صحيح مسلم	للمنذري – تحقيق الألباني	المكتب الأسلامي بيروت
الترغيب والترهيب	للمنذري	مصطفى الحلبي مصر
مشكاة المصابيح	للتبريزي – تحقيق الألباني	المكتب الأسلامي بيروت
صحيح الجامع الصغير	ناصر الدين الألباني	المكتب الأسلامي بيروت
ضعيف الجامع الصغير	ناصر الدين الألباني	المكتب الأسلامي بيروت
الوابل الصيب من الكلم الطيب	لابن القيم الجوزية	دار البحار بيروت
فتح الباري شرح صحيح البخاري	لابن حجر العسقلاني	دار المعرفة بيروت
المنهاج شرح مسلم بن الحجاج	محي الدين النووي	دار الفكر بيروت
جامع العلوم والحكم	زين الدين ابن رجب	دار المعرفة بيروت
إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي	عالم الكتب بيروت
الذريعة إلى مكارم الشريعة	الراغب الأصفهاني	دار الكتب العلمية بيروت
أدب الدنيا والدين	أبي الحسن الماوردي	دار الكتب العلمية بيروت
بدائع الفوائد	ابن القيم الجوزية	دار الكتاب العربي بيروت
مختصر منهاج القاصدين	ابن قدامة المقدس	دار الباز مكة المكرمة
منهاج المسلم	أبو بكر الجزائري	دار الكتب السلفية القاهرة
خلق المسلم	محمد الغزالي	دار الكتب الحديثة القاهرة

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله

*　*　*


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



المركز العربي للكتاب
هاتف: ٥٢٦٥٢٠ الشارقة
فاكس: ٥٢٦٥١٩ ص.ب: ٢٠٢٦٠
الإمارات العربية المتحدة